مركز المنبر
للدراسات والتنمية المستدامة
ALMANBAR CENTER FOR STUDIES
AND SUSTAINABLE DEVELOPMENT

المقابر الجماعية في العراق: رحلة مؤلمة للبحث عن الأحبة

الكاتب: مارتا بيلينغريري

المصدر: صحيفة "الغارديان" البريطانية نشر بتاريخ 9 كانون الثاني 2025

عن المركز

مركز المنبر للدراسات والتنمية المستدامة، مركز مستقلٌّ، مقرّه الرئيس في بغداد. رؤيته الرئيسة تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام – فضلاً عن قضايا أخرى – ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلّ، وإيجاد حلول عمليّة جليّة لقضايا تهمّ الشأن السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي، والثقافي.

لا تعبر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز وانما تعبر عن رأي كتابها

حقوق النشر محفوظة لمركز المنبر للدراسات والتنمية المستدامة

https://www.almanbar.org

info@almanbar.org

المقابر الجماعية في العراق: رحلة مؤلمة للبحث عن الأحبة

الكاتب: مارتا بيلينغريري

المصدر: صحيفة "الغارديان" البريطانية نشر بتاريخ 9 كانون الثاني 2025[1]

يُقدّر أن هناك ما يصل إلى مليون شخص مفقود في العراق بعد عقود من الصراع في هذا البلد. وتواجه فرق الطب الشرعي تحديات كبيرة في توثيق الرفات، بينما تترقب الأسر على أمل الوصول إلى إغلاق الملف.

قال ضرغام عبد المجيد إنه عند وصوله للمرة الأولى ، في شهر يونيو، إلى الحفرة المعروفة بإسم " بئر علوّ عنتر"، التي يبلغ عمقها 20 متراً في قضاء تلعفر شمال العراق، شاهد شيئاً لم يسبق له رؤيته خلال 15 عاماً من عمله في حفر المقابر الجماعية.

وأشار إلى أن "هذا الموقع يختلف عن أي موقع آخر عملت عليه، من حيث العمق، وصعوبة الصعود والنزول، ووجود بقايا البشر فوق بعضها البعض، بالإضافة إلى سقوط الحجارة، والحشرات، وكميات التربة التي اضطررنا لنقلها لإنتشال هؤلاء الضحايا".

وللتنقيب عن الجثث، وهي ضحايا تنظيم داعش، اضطر فريقه إلى بناء درج وتوظيف خبير في الزواحف للحد من خطر لدغات الثعابين.

[1] Uncovering Iraq's mass graves: the painstaking search for missing loved ones – photo essay. https://www.theguardian.com/global-development/2025/jan/09/uncovering-iraq-mass-graves-painstaking-search-for-missing-loved-ones-photo-essay

كان الهيكل الجيولوجي المعقد، المعروف بإسم "حفرة علوّ عنتر"، يُستخدم سابقاً لجمع المياه، وهو مجرد واحداً من مسارح الجريمة التي شارك فيها عبد المجيد وفريقه مؤخراً.

على مدى أكثر من 45 عاماً، كانت التربة العراقية غارقة في دماء جثث مئات الآلاف من الأشخاص المدفونين في مقابر جماعية غير مميّزة ، بينما تعاملت البلاد مع صراعات متعدّدة بما في ذلك الحرب الإيرانية العراقية من عام 1980 إلى عام 1988، والحروب الأهلية من عام 2006 إلى عام 2008 واحتلال "داعش" لمدن عراقية بين عامي 2014 و2017، بالإضافة إلى ضحايا نظام صدّام حسين.

ولذلك، يُعتقد أن العراق يحتوي على عدد أكبر من المفقودين مقارنةً مع أي دولة أخرى، وفقاً للصليب الأحمر الدولي، حيث تتراوح التقديرات بين 250 ألف إلى مليون شخص.

منذ عام 2008، تقوم وزارة الصحة العراقية ومؤسسة الشهداء، وهي هيئة حكومية تهدف إلى تحديد هوية الضحايا وتعويض ذويهم، بإرسال فرق من علماء الأنثروبولوجيا والأطباء الشرعيين في جميع أنحاء البلاد للبحث عن المقابر الجماعية والتنقيب عنها وانتشال الجثث. هدفهم هو التعرّف على الجثث من خلال تحليل الحمض النووي وإعادتها إلى العائلات التي تبحث عن أحبائها المفقودين.

بينما نعلم بوجود أكثر من 200 مقبرة جماعية تعود إلى فترة إحتلال "داعش"، يبقى عدد المقابر الجماعية في عهد نظام صدام حسين غير معروف.

كانت الجثث المُكدّسة في "بئر علوّ عنتر"، التي تجاوز عددها 100 جثة، تُمثل ضحايا جريمة واحدة من العديد من الجرائم التي ارتكبها تنظيم "داعش" عند إحتلاله مناطقاً واسعة في شمال العراق، وبضمنها جرائم إرتكبها التنظيم خلال سعيه للسيطرة على الموصل، ثاني أكبر مدينة في البلاد حيث تقع المقبرة الجماعية على بعد نحو 60 كيلومتراً غرب المدينة.

من كانون الثاني/يناير إلى حزيران/يونيو من عام 2024، أعلن تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" مسؤوليته عن أكثر من 150 هجوماً في العراق وسوريا. وبمعدل كهذا، من المتوقع أن تزيد هذه الجماعة المتشدّدة من عملياتها لتكون ضعف عدد الهجمات التي تبنت مسؤوليتها في عام 2023، في محاولة منها لإعادة البناء بعد سنوات من تراجع قدراتها.

لا يزال فريق الطب الشرعي يعمل على تحديد هوية الضحايا في "بئر علوّ عنتر". ومع ذلك، بفضل امرأة شاهدة نجت من المذبحة وأمضت ثلاث سنوات من العبودية الجنسية على يد تنظيم "داعش" في العراق وسوريا، تمكّن عبد المجيد من معرفة أن الضحايا ينتمون إلى مجتمعات مختلفة.

غير أن عبد المجيد، في سياق توضيحه لتعقيدات قضية المفقودين في العراق، يوضح أنهم عثروا على عظام يُحتمل أن تعود لضحايا المذابح السابقة، "ربما من فترة التسعينيات أو من حقبة تنظيم القاعدة بعد عام 2003".

تتلقى الفرق العراقية دعماً من خبراء من الأمم المتحدة، الذين ساهموا سابقاً في جمع الأدلة لمقاضاة جرائم "داعش" بالإضافة إلى عملهم على المذابح في رواندا والبوسنة والأرجنتين وكمبوديا.

بالإضافة إلى التنقيب عن القبور، تسافر الفرق عبر العراق للتواصل مع عائلات الضحايا من أجل جمع عينات من الحمض النووي وغيرها من الأدلة التي يمكن أن تتطابق مع الرفات المُستخرجة.

كان جمع عينات الحمض النووي من العائلات الإيزيدية، وهي واحدة من أقدم الأقليات في العراق، المهمة الأكثر تحدياً، نظراً لمقتل العديد من أفراد العائلة الواحدة، أو مغادرتهم العراق كلاجئين إلى أوروبا أو أماكن بعيدة مثل أستراليا.

في مدينة سنجار، شمال العراق، موطن الشعب الإيزيدي، اجتمعت شيرين إبراهيم أحمد مع أبناء مجتمعها المحلي في آب/أغسطس عند النصب التذكاري للإبادة الجماعية الإيزيدية في مدينة سولاغ القريبة، لإحياء الذكرى السنوية العاشرة لجرائم "داعش".

قُتلت والدة شيرين وجدّتها في نفس المكان الذي أقامت فيه مبادرة "نادية"، المنظمة التي أنشأتها نادية مراد الحائزة على جائزة نوبل للسلام، النصب التذكاري. وعلى الرغم من أن فريق الطب الشرعي قد قام بالتنقيب عن القبر، إلاّ أنه لم يتم التعرّف على جثتيّهما بعد، ولا يزال الضحيتيّن مصنفتيّن ضمن قوائم المفقودين.

تقول شيرين إنها فقدت أيضاً شقيقها ووالدها، بينما نجت شقيقتان فقط من الأسرة وتعيشان الآن في محافظة دهوك، في إقليم كردستان العراق.

وأضافت: "عندما اختطفني تنظيم "داعش"، كنت مع أختي واثنيّن من أبناء عمومتي، لكن كل واحدة منا أُختطفت من جهة مختلفة وتُركت وحدي. عدت بفضل ابن عم لي في العراق اتصل به أحد أعضاء داعش. جاء مهرّب لاصطحابي، وقد تم بيعي مقابل 10,000 دولار".

يتوقع فريق المقابر الجماعية العراقي أن يستمر عملهم لسنوات عديدة بينما يسعون لكشف عما ما حدث لأحبائهم ومحاسبة المسؤولين عن الفظائع، ويعربون عن أملهم في أن تكون المقبرة الجماعية التالية هي الأخيرة.

***